



﴿ مؤسسة الرؤية للإنتاج الإعلامي ﴾

تقدم

مقال بعنوان:

﴿ نصيحة إلى القادة ﴾

للشيخ الناصر /

أبو مُلْهَم الغَزَيّ

نصيحة إلى القادة

الحمد لله شرع لنا ديناً قوياً مهيمناً صالحاً لكل أمة وفي كل زمان ومكان، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الديان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بلغ الدين ونشره باللسان والسنان، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أولى النهي والإحسان، وسلم تسليماً كثيراً.

أحببت قبل البدء بذكر أي تكليف وحمل أي أمانة أن أذكر نفسي وإياكم بأهم صفات القيادة التي وجب التحلي بها لننجح في مهمتنا التي رفعنا لوائها، أسأل الله أن يوفقنا وأن يستخدمنا ولا يستبدلنا.

أولاً الإخلاص:

الإخلاص إذا كان في قلب أشرق، وقذف الله تعالى فيه بنور الحكمة، وكان تفكيره مستقيماً، ولسانه قوياً، وعمله حكيماً، فلا يكون التواء، ولا عوج⁽¹⁾.

ثانياً الإتيان:

لقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - من أقل الناس كلاماً، ولكن أفعاله كانت تؤثر في أصحابه وتشع عليهم بالنور اقتباساً من مثاله الشخصي، ولا شيء كالمثال الشخصي يؤثر في الناس؛ أما الكلام وحده دون عمل فلا يؤثر في أحد، فلا موعظة في كلام لم يمتلئ من نفس قائله ليكون عملاً، فيتحوّل في النفوس الأخرى عملاً ولا يبقى كلاماً.

كان عليه الصلاة والسلام يبني الأفراد الصالحين ليكون أمة صالحة بالأعمال لا بالأقوال، وقد عمل ما لم يستطع أحد أن يعمل مثله أو قريباً منه، وكان أصحابه بتربيته لهم خير القرون ثم الذي يليهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد كان خريجو مدرسة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام رجالاً لا كالرجال.

إنه قدوة الرؤساء والمؤوسين، والقادة والجنود، وقدوة الأجيال جيلاً بعد جيل، وهو المثل الأعلى للمسلمين وللإنسانية من مختلف الأجناس⁽²⁾.

ثالثاً العقيدة:

يقول الشيخ الأستاذ محمد أبو زهرة⁽³⁾:

- العقيدة تدفع إلى العدل، ولا يدفع الجندي إلى الرضا إلا أن يحس بأنه يعمل في ظل عدالة لا تحابي ولا تماري، ولا تضنّ على أن يُعطى كل ذي حق حقه.

¹ الشيخ أ. محمد أبو زهرة - أستاذ الشريعة الإسلامية وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

² بين العقيدة والقيادة ص 157، اللواء الركن محمود شيت خطاب.

³ في مقدمة كتاب بين العقيدة والقيادة.

- العقيدة وإخلاص المؤمن لها، وإذعانه لما تتقاضاه منه؛ تجعله حريصاً على جنده، يحنو عليهم ويقرب منهم؛ والقائد يقود نفوساً، ولا يرصّ بنياناً؛ ومن يقود النفوس عليه أن يدنو منها ويحنو عليها.
- العقيدة تجعل القائد كالكاهن لا يفكر في نفسه ولا في ماله، ولا في أي مأرب من أمور الدنيا، غير أن ينتصر في ميدان يحسب أنه فيه يحمي الفضيلة؛ وبذلك يعلو في نفسه ويسمو.

ويقول: "عندما خلت نفوس القواد من العقيدة، وصار الذي يحرك القائد حب الغلب وحب السلطان، وتنازعوا أمرهم، وصار بأسهم بينهم شديداً، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، وظهرت النزعات الإقليمية؛ عندما كان ذلك، صار المسلمون يُغزّون، ولا يفتحون، وصاروا يُرامون ممن كانوا هم يفتحون بلادهم".

كما أن هناك سننٌ كونية من سلوكها وأخذ بها فلح ونجح في القيادة ولو كان كافراً ومن حاد عنها ولم يأخذ بها فشل وانتكس ولو كان مسلماً، وسنذكر مقتطفات على تصنيفات ثلاث وهي:

أ. المثال الشخصي من سيرة قادة المسلمين الفاتحين الأوائل.

ب. ما كتبه علماء المسلمين عن القيادة.

ج. ما كتبه قادة غربيون نجحوا في القيادة.

أ/ المثال الشخصي من سيرة قادة المسلمين الفاتحين الأوائل.

لقد كان قادة الفتح الإسلامي من الصحابة مثلاً يحتذى بهم جنودهم ويتأسى بهم الجميع غالباً ومغلوباً. كانوا التطبيق العملي للإسلام بما فيه من تكاليف الجهاد بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى.

كانوا يسخّرون مصالحهم الذاتية لمصلحة المسلمين العامة، ويؤثرون مصالح المسلمين على مصالحهم الذاتية. لم تغيّرهم المناصب، لأنهم كانوا أرفع من المناصب، ولم تغيّرهم الأموال، لأنها كانت بأيديهم لا في قلوبهم.

1. أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -:

كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة، قالت جارية من الحي: "الآن لا تحلب لنا مئائح دارنا"، فسمعها أبو بكر فقال: "بلى! لعمري لأحلبنّها لكم، وإنّي لأرجو ألاّ يغيّرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه"، فكان يحلب لهم.

وكان رجلاً تاجراً، فكان يغدو كل يوم إلى السوق، فيبيع ويبتاع. ونظر في أمره فقال: "لا والله، ما تصلح أمور الناس التجارة، وما يصلحهم إلاّ التفرغ لهم والنظر في شأنهم، ولا بدّ لعيالي مما يصلحهم"، فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوماً بيوم، ويحج ويعتمر. فلما حضرته الوفاة قال: "ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإنّي لا أصيب من هذا المال شيئاً، وإن أ رضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم"، فدفع ذلك إلى عمر، ولقوحاً وعبداً صيقلاً⁽⁴⁾ وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم، فقال عمر: "لقد أتعب من بعده".

وكان كل ما أنفقه من بيت المال في ولايته ثمانية آلاف درهم⁽⁵⁾!!!

⁴ الصقيل: شحاذ السيوف وجلاؤها، وهي مهنة العبد الذي أعيد إلى بيت مال المسلمين.

⁵ الطبري 3/ 432 - 433، طبعة دار المعارف - القاهرة 1382هـ.

2. عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خطبة له: "... وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل. ولن يغيّر الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم: إن عمر تغيّر منذ ولي، أعقل الحق من نفسي، وأتقدم وأبين لكم أمري، وأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق فلْيُؤدّي، فإنما أنا رجل منكم" (6).

وأنفق عمر في حجته ستة عشر ديناراً فقال: "يا عبد الله بن عمر! أسرفنا في هذا المال". وأنفق في حجته مرة أخرى خمسة عشر ديناراً، وقد خرج إلى مكة فما ضرب فسطاطاً حتى رجع، وكان يستظل بالنطع (7).

وقال الربيع بن زياد الحارثي (8) لعمر: "إن أحق الناس بطعام لَيْن ومركب لَيْن وملبس لَيْن لأنت"، فرفع عمر جريدة معه وضرب بها رأسه وقال: "أما والله ما أراك أردت بها الله، وما أردت بها إلا مقاربتني" (9). وكان يستنفق درهمين كل يوم له ولعِياله، ولم يركب دابة عام الرّمادة وقال: "والله لا أركبها حتى تحيي الناس" (10). وكانت بطنه تفرقر من الزيت ذلك العام، فكان يقول: "تفرقر!! والله لا تأكله - أي السمن - حتى يأكله الناس" (11).

وكان يقول: "إنني أنزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم: إن استغنيت استعفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف" (12).

والمثال الشخصي الذي ضربه عمر للمسلمين في النزاهة والأمانة، جعل كل واحد منهم مثلاً حياً للنزاهة المطلقة والأمانة النادرة. لما قدم على عمر بسيف كسرى ومنطقته ونفائسه قال: "إن أقواماً أدّوا هذا لذو أمانة"، فقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: "إنك عفت فعت الرعية" (13).

وبعد طعن عمر وحين كان يعاني سكرات الموت، دخل عليه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فجعل يثني على عمر، فقال: "بأي شيء تثني عليّ؟ بالإمرة أو بغيرها؟"، قلت: "بكلّ"، قال: "ليتني أخرج منها كفافاً لا أجر ولا وزر" (14).

3. خالد بن الوليد - رضي الله عنه -:

لما مات خالد بن الوليد - رضي الله عنه - لم يترك إلا فرسه وسلاحه وغلّامه (15)، وقد حبس فرسه وسلاحه في سبيل الله (16)، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "يرحم الله أبا سليمان! لقد كنا ننظن به أموراً ما كانت" (17)، إذ كان باستطاعته أن يجمع الأموال الطائلة من فتوحاته الكثيرة، ولكنه أنفقها كلها في سبيل الله، فمات فقيراً.

6 الطبري 3/ 282.

7 طبقات ابن سعد 3/ 279، والنطع: بساط من الجلد.

8 انظر تفاصيل سيرته في: قادة فتح بلاد فارس 164 - 172.

9 طبقات ابن سعد 3/ 280.

10 طبقات ابن سعد 3/ 313.

11 المصدر السابق 3/ 313.

12 المصدر السابق 3/ 276 و 313.

13 الطبري 3/ 128.

14 طبقات ابن سعد 3/ 351.

15 طبقات ابن سعد 7/ 398.

16 الإصابة 2/ 100.

17 طبقات ابن سعد 7/ 398.

4. أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه -:

كان أبو عبيدة - رضي الله عنه -، لا يكثرث بالمناصب، كما كان لا يكثرث بالمال، فقد أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمئة دينار وقال لرسوله: "انظر ما يصنع!" فقسمها أبو عبيدة بين الناس، فلما أخبر عمر رسوله بما صنع أبو عبيدة قال: "الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا" (18). ولما قدم عمر الشام، تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: "أين أخي!" فقالوا: مَنْ؟ قال: "أبو عبيدة"، قالوا: يأتيك الآن! وجاء أبو عبيدة على ناقه مخطومة بحبل، فسلم عليه، فقال عمر للناس: "انصرفوا عنا". وسار مع أبي عبيدة حتى أتى منزله فنزل عليه، فلم يرَ في بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: "لو اتخذت متاعاً - أو قال: شيئاً"، فقال: "يا أمير المؤمنين!! إن هذا سيبلغنا المقييل" (19). وفي رواية أن عمر قال: "اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عبيدة"، فقال له: "وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين؟! ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي". ودخل عمر بيت أبي عبيدة، فلم يرَ في البيت شيئاً، فقال: "وأين متاعك؟! لا أرى إلا لبدًا وصفحة وشناً" (20) وأنت أمير! أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة (21)، فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال أبو عبيدة: "قلت لك أنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين....! يكفيك من الزاد ما بلغك المحل"، فقال عمر: "غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة" (22). تلك دروس عملية من الصحابة تطبيقاً لتعاليم الإسلام في أيام الفتح الإسلامي العظيم؛ لعل القادة المسلمين يتعلمون منها ما يجب أن يقدموا إعلاءً لكلمة الله في هذه السنين العجاف التي تداعت عليهم الأمم، واحتل الصهاينة بلادهم وامتهنوا مقدساتهم.

18 طبقات ابن سعد 4/ 413.

19 المقييل: النوم عند الظهيرة، ويقصد به: الموت.

20 الشن: القرية الخلق.

21 الجونة: السلة المستديرة.

22 الإصابة 4/ 12، وأسد الغابة 3/ 86.

ب/ بعض ما كتبه علماء المسلمون عن القيادة:

1. جاء في كتاب: "الأحكام السلطانية" (23) لأبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي الماوردي الباب الرابع، "في تقليد الإمارة على الجهاد" ما نصه: "أن يأخذ جيشه بما أوجبه الله تعالى من حقوقه، وأمر به من حدوده، حتى لا يكون بينهم تجور في دين ولا تحيف في حق؛ فإن من جاهد عن الدين كان أحق الناس بالتزام أحكامه، والفصل بين حلاله وحرامه. وقد روى حارث بن نبهان عن أبان بن عثمان عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "انهوا جيوشكم عن الفساد، فإنه ما فسد جيش قط إلا قذف الله في قلوبهم الرعب، وانهوا جيوشكم عن الغلول (24)، فإنه ما غلّ جيش قط إلا سلط عليه الله الرّجلة (25)، وانهوا جيوشكم عن الزنا؛ فإنه ما زنا جيش قط إلا سلط الله عليهم الموتان" (26). وقال أبو الدرداء: "أيها الناس! اعملوا صالحاً قبل العزو، فإنما تقاتلون بأعمالكم". وقال: "وأن يقصد بقتاله نصرة دين الله تعالى وإبطال ما خالفه من الأديان، {يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كَلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: 33]، فيكون بهذا الاعتقاد حائزاً لثواب الله تعالى، ومطيعاً له في أوامره ونصرة دينه، ومستصرّاً به على عدوه، ليستسهل ما لاقى، فيكون أكثر ثباتاً وأبلغ نكاية. ولا يقصد بجهاده استفاضة المغنم، فيصير من المتكسبين لا من المجاهدين". وقال: "من أحكام هذه الإمارة مصابرة الأمير قتال العدو ما صابر، وإن تطاولت به المدة، ولا يولي عنه وفيه قوة".

2. وجاء في كتاب "الأحكام السلطانية" (27) للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي في باب: "تقليد الإمارة على الجهاد" ما نصه: "ألا يُمَالَى من ناسبه، أو وافق رأيه ومذهبه، على من باينه في نسب، أو خالفه في رأي ومذهب، فيظهر من أحوال المبائنة ما تفرق به الكلمة الجامعة، تشاغلاً بالتقاطع والاختلاف". وقال: "أن يأخذ جيشه بما أوجبه الله تعالى من حقوقه، حتى لا يكون بينهم تجور في الدين". وقال: "أن يقصد بقتاله نصرة دين الله تعالى، وإبطال ما خالفه من الأديان، فيكون مطيعاً لله في أوامره، ولا يقصد في جهاده استفاضة المغنم، فيصير من المتكسبين لا من المجاهدين. وأن يؤدي الأمانة فيما حازه من المغنم، ولا يغل أحد منهم شيئاً حتى تُقسَم بين جميع الغانمين ممن شهد الواقعة، وكانوا على العدو يداً واحدة، لأن لكل واحد منهم فيها حقاً".

3. وجاء في كتاب "السياسة الشرعية" (28) لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية في الفصل الأول من الباب الأول: "استعمال الأصلح" ما نصه: "فيجب على كل من ولي شيئاً من أمر المسلمين من هؤلاء وغيرهم، أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع، أصلح من يقدر عليه، ولا يقدر الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق في الطلب، بل ذلك سبب المنع، فإن في الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أن قوماً دخلوا عليه فسألوه ولاية فقال: (إنا لا نولي أمرنا هذا من طلبه). وقال لعبد الرحمن بن سُمرة: (يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها). أخرجاه في الصحيحين ... فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما أو ولّاء عتاقة أو صداقة، أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس، كالعربية والفارسية والتركية والرومية،

23 الماوردي: الأحكام السلطانية، القاهرة - الطبعة الثانية 1386 هـ.

24 الغلول: الخيانة في المغنم أو في مال الدولة.

25 الرّجلة: نوع من الأمراض الخبيثة.

26 الموتان: الموت الكثير الوقوع، انظر النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير (4/ 130). وهذا الحديث ضعيف، وابن بنهاز ليس ثقة.

27 أبو يعلى: الأحكام السلطانية، صححه وعلّق عليه الشيخ أحمد حامد الفقي - القاهرة - 1356 هـ - الطبعة الأولى.

28 ابن تيمية - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - بيروت 1386 هـ.

أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب. أو لضغن⁽²⁹⁾ في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ...".

"فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه، قد يؤثره في بعض الولايات، أو يعطيه ما لا يستحق، فيكون قد خان أمانته. وكذلك قد يؤثره زيادة في ماله أو حفظه، بأخذ ما لا يستحقه، أو محاباة من يداهنه⁽³⁰⁾ في بعض الولايات، فيكون قد خان الله ورسوله وخان أمانته. ثم إن المؤدي للأمانة مع مخالفة هواه، يثبت الله فيحفظه في أهله وماله بعده، والمطيع لهواه يعاقبه الله بنقيض قصده؛ فيذل أهله ويذهب ماله.

²⁹ الضغن: الحقد.

³⁰ المداهنة: المصانعة والمواربة، أو المصالحة والمسالمة.

ج/ بعض ما ذكره القادة الغربيون في هذا الباب:

1. المُشير مونتكومري (31):

ويمضي مونتكومري فيتساءل: "هل الحياة الخاصة للقائد إحدى أسباب نفوذه ونجاحه؟" ويرد على تساؤله: "في رأيي الخاص في هذه القضية بعينها، بل جميع القضايا الأخرى، أن العامل الأكبر هو إخلاص المرء ونفوذه وكونه قدوة، وخاصة فيما يتعلق بالفضائل الدينية، ولا يهم أن يكون من الطبقة العليا أو السفلى في مجتمعنا. إنني لا أدري كيف يستطيع امرؤ أن يكون قائداً، إن لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات؛ فإن لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات، فلا يحترمه الذين يقودهم، ويسحبون ثقتهم منه. وإذا ما حدث ذلك، فستفقد قيادته تأثيرها" (32).

ويقول: "إن الميزة الأولى للقائد الذي ننشده، هي أن يكون مخلصاً إخلاصاً عميقاً وعظيماً وحقيقياً. والإخلاص الذي أعنيه، هو النوع الذي ينبعث من القائد دون تكلف، فهو فيه بالطبيعة، وهو لا يملك إلا أن يكون مخلصاً. ويضاف إلى الإخلاص نكران الذات، وأعني بذلك الولاء التام للقضية التي يخدمها من غير أن يفكر في جزاء أو شكور" (33).

ويقول في صفات القائد المعنوية: "تتطلب القيادة الصفات الجوهرية التالية: اليقين (34)، والأمانة، والصلابة، والشجاعة" (35).

ويقول: "إن الحرية الحقيقية هي أن يكون لديك الخيار في أن تفعل ما (يجب) أن تفعله لا ما (تريد) أن تفعله ... إن هذه هي الحقيقة بعينها التي تواجه أي ولد، وهي التوفيق بين ما يريد أن يفعله وبين ما يوحي إليه ضميره أن يفعله، وهو حُرٌّ في الاختيار بين الاثنين، فهو وحده الذي يقرر مصيره" (36).

2. المُشير ويفل (37):

يقول المُشير (ويفل): "يجب أن يكون القائد عفيفاً وقوراً، يتحمل المشاق، وأن يكون مؤدباً ودوداً، سهل الاقتراب منه، رزين الطبع".

31 المُشير مونتكومري: له تجارب عملية استغرقت خمسين سنة في الخدمة العسكرية، تدرَّج خلالها من الرتب العسكرية الصغيرة إلى أعلى الرتب العسكرية، وشغل المناصب القيادية وواجبات الأركان في الحرب العالمية الثانية وبعدها في بريطانيا، وأصبح رئيساً لأركان حرب إنكلترا ونائباً للقائد الأعلى لحلف الأطلسي، كما أصبحت له شهرة عالمية بعد انتصاره في معركة (العلمين) على قوات المحور التي كانت بقيادة المُشير رومل، وفي الإنزال في نورماندي، حتى وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها.

32 السبيل إلى القيادة - الباب الأول - ص (18).

33 السبيل إلى القيادة - الباب الأول - ص 21.

34 (conviction).

35 السبيل إلى القيادة، الباب الثاني عشر، ص 241.

36 السبيل إلى القيادة، الباب السادس عشر، ص 306 - 307.

37 من القادة البريطانيين البارزين في الحرب العالمية الثانية، وكان (ويفل) مثقفاً ثقافة عالية، وكاتباً مُجيداً، وكان مفكراً كبيراً ذا عقل نَبْرٌ و بُعْدُ نظر. وقد ألقى محاضرة في جامعة كمبردج في موضوع: "القيادة وفن القيادة" عام 1939، وتوفي سنة 1947 بالسرطان. انظر ما جاء عنه في "السبيل إلى القيادة" (ص 56 - 61).

3. المدرسة البريطانية:

جاء في كتب التدريب الفنية للجيش البريطاني عن صفات القائد ما نصه: "ينحصر أهم واجب للقائد في إصدار القرارات. ولكي تكون قراراته صحيحة، لا تكفيه الشجاعة الشخصية ولا الإرادة القوية الثابتة، ولا تحمّل المسؤولية بلا تردد؛ بل فضلاً عن ذلك عليه أن يكون واقفاً وقوفاً تماماً على مبادئ الحرب، وقادراً على الحكم السريع الواضح، وذا مخيلة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة الفوز ولا تثبط عزيمته كارثة الخيبة، وأن يكون سابراً لغور الطبع البشري" (38).

4. الأمريكيون:

أما الأمريكيون فيرون أن القائد هو عنوان قواته، فقد ثبت بالبرهان القاطع أن القوات تتأثر كثيراً بسلوك القائد وبالمثل الذي يضربه لها، لذلك يجب أن يتحلى بخصلة نكران الذات. إن الإخلاص للعقيدة كالحماسة يسري بين أفراد القوات العسكرية كالبرق، والعدالة والاستقامة وعدم المحاباة من أهم صفات القائد المؤثرة في قواته. والاستقامة في حياة القائد العامة والخاصة تؤدي إلى ثقة رجاله به وتسري فيهم خصاله الرفيعة (39).

5. الفرنسيون:

أما الفرنسيون فيرون أنه يجب أن يتحلى القائد بالنزاهة المطلقة والعدالة والصدق، وتشمل النزاهة الحياة الخاصة والرسمية، وعلى الصعيد الرسمي فإنه يتناقض مع النزاهة كل معاملة للآخرين تتسم بالمناورة أو الالتواء أو الأنانية. وليس من النزاهة في شيء إخفاء الحقيقة على من يجب أن يعرفها، ولا القعود عن معرفة الحقيقة بتفاصيلها، وليس من النزاهة في شيء أن يسعى القائد إلى تأمين الفوائد لنفسه على حساب هذا أو ذاك من زملائه أو مرؤوسيه كأن يطعن في كفاية من يبزّه أو ينافسه.

وليس من اليسر - في رأي الفرنسيين - ولا من السهل أن يكون المرء منصفاً، فعلى القائد أن يحذر ما يحب وما يكره باعتباره بشراً، وأن يحذر ميله إلى هذا أو ذاك من مرؤوسيه ونفوره من هذا أو ذاك. وعليه أن يحذر أكثر فأكثر نزاعه إلى اعتبار تصرف أو عمل ما في محله لا لشيء إلا لأن هذا العمل أو ذاك التصرف يتفق ورغباته الخاصة أو عواطفه، فالإنسان كثيراً ما ينخدع بعقله أو بقلبه، والإنصاف إنما يتطلب نظرة موضوعية إلى الأشياء. ومن المزايا الخلقية ميزة اعتبارها إلى حد ما خاصة بالعسكريين، ونعني بها التجرد أو انعدام الغرض. فالضباط لا يجهلون إلا سبيل لهم إلى الثراء، كما لا يجهلون أن لحرفتهم متطلبات وظروفاً مادية ليس لبقية الحرف مثلاً، ككثرة التنقلات وعدم استقرار الحياة العائلية، مما تنتفي معه إمكانية تربية الأولاد تربية حسنة. يجب أن يكون للقائد فكرة واضحة عن هذا كله منذ اللحظة التي يختار فيها حرفته، وينبغي له من ثم أن يحارب في ذاته المראה والحسد.

وعلى القائد أخيراً أن يبرهن عن تجرد تام حيال حرفته، فإذا كان بعض أنواع الطموح مشروعاً بل ضرورياً، فقصر الاهتمام على (الوصول) هو داء وبيل، لأنه يفقد القائد توازنه واتزانته، فيقدم على إثبات مصلحته الخاصة على المصلحة العامة، ويصبح لأفعاله حتى الباهر منها في الظاهر بواعث تجردها من كل قيمة معنوية.

³⁸ انظر التفاصيل في مصادر كتب التدريب العسكري البريطانية: نظمات الخدمة السفيرية، وإدارة الحرب، والفرقة في المعركة، وفوج مشاة في المعركة.

³⁹ انظر التفاصيل في كتاب: أصول المدفعية للجيش الأمريكي.

قال (دوبراك): "غبّي هو القائد الذي يحسب نفسه قادراً على كتمان أخبار سقطاته، فالجندي يعرف عنه أكثر مما يعرف عن نفسه. فالأفضل له أن يجتهد بتقويم اعوجاجه وكبح جماح نزواته بدلاً من أن يحاول عبثاً إخفاء ما لا يمكن إخفاؤه"⁽⁴⁰⁾.

6. الألمان:

ربما يكون الألمان أكثر الغربيين تمسكاً بالتقاليد العسكرية التي هي مُثلٌ عليا متمثلة بالصدق والاستقامة والشهامة والشجاعة والشرف الرفيع.

هذا ما أحببت أن أضعه بين أيديكم وهو تلخيصٌ مقتبسٌ من كتاب (بين العقيدة والقيادة) لصاحبة اللواء الركن محمود شيت خطاب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، بتصرفٍ يسير من العبد الفقير؛ أنصح جميع القادة بقراءته والتمعن فيه، والحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون به إلى الجنة ويلقى به في جهنم،،

اقتباس وترتيب

الناصر/ أبو مُلْهُم الغَزَيّ

15 – محرم – 1447هـ.

2025/07/10م.

⁴⁰ ما يقال عن الجندي الفرنسي، يقال عن كل جندي في العالم.